السفينة السوداء

عن الانجليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

كانت تحب الأطفال حباً ملك عليها قلبها فلم تر صغيراً إلا ووجدت من نفسها دافعاً قوياً إلى حمله بين يديها ومداعبته . وكانت تعلو ثغرها عند ذلك ابتسامة مؤلمة

وكانت « لينا » على الرغم من سعادتها الزوجية لما بينها وبين قرينها من الحب المتبادل تشعر بأنها تعسة لأنها لم ترزق قط مولوداً يملأ منزلها مرحاً وسروراً . وكانت تتمنى لو أنها فقيرة معدمة تتوسد التراب وتأكل خبز الصدقات على أن يكون بجانبها طفل ينظر إليها نظرة أحن من نظرات الملائكة

وكانت تفكر فى ذلك تفكيراً يستغرق الساعات الطوال ولحظها فى هذه الأثناء معقود بنقطة لا تتغير من أرجاء الغرفة . ولقد يحسبها من رآها على هذه الحال تمثالاً لولا أن لونها الدائم التبدل يدل على أنها مستغرقة فى التفكير . لكنها كانت حريصة على ألا يطلع زوجها على اشتغال بالها وعلى وجهة تفكيرها، فهى أمامه تضحك وتلعب وتقترح التنزه والتلهى وتزعم أنها سعيدة . وكانت تدعى أنها لا تميل إلى النسل ولا تبالى أن تقضى بقية العمر كما هى الآن

ولقد كان ضواحبها يقلن لها فى السنوات الأولى من الزواج إنها سترزق بالأبناء فى الوقت المناسب . وكانت تعلل نفسها بذلك . ولكن لما انقضى العام بعد العام وكاد يجف عودها ولم يثمر دب فى نفسها دبيب اليأس وظلت فى وحدتها تعانى ألمها الخفى . وكانت فى بعض الأحيان تأنس بالوحدة لتستمتع بلذة هذا الألم . ولكنها فى أحيان أخرى تهرب إلى الضجيج والزحام من آلام الوحدة وكان ملجؤها الأول فى الحالات الأخيرة فى الحفلات الراقصة ففيها لا يسمع القلب مناجاة نفسه

وكان زوجها يسر من مرافقتها إلى تلك الحفلات لأنه يحب أن يراها سعيدة . وكانت تقدر له هذا الشعور نحوها وتتمنى له لو تستطيع أن تخلى له قلبها من كل حب لولا أن حب النسل كان مالئاً فراغ هذا القلب .

والأطفال إن لم يوجدوا فهم معان . ولا بد لتعلق القلب أن يكون بشىء ملموس . ولا بد لكل إنسان من تعليق قلبه بإنسان أو بشىء آخر . ولكن « لينا » كانت ترى من حولها من الرجال بلداء وما يحيط بها من الأشياء لا يطاق . فبعد أن جالت جولة فى ميدان الطراد انتهى بها المطاف إلى حب نفسها ، وأخذت تعامل نفسها كأنها تعامل طفلاً مدللاً فهى تهدى إلى نفسها الهدايا من الجواهر إلى الأزاهير .

وكانت تجلس الساعات الطوال أمام المرآة تبادل وجهها النظرات ، وتقبل صفحة المرآة حيث يرتسم ثغرها . وبودها لو تستطيع تقبيل خدها فى المرآة . وكانت تناجى نفسها بأعذب الكلمات وتفزع عند ما

تسمع بعض الأصوات ، ثم تفكر فى أيام الدراسة وفى الأشهر الأولى من عهد الزواج فتحس بحاجة قوية للبكاء .

وكانت نتيجة هذا التطور فى عهود حبها أنها رأت جسامة الفروق بين طفولتها اللاهية وبين شبابها الحزين ، فبدأت نفسها المشوقة تخاف من نفسها العاشقة

وبدأت كذلك تشعر أنها بعد ازدواج نفسها صارت أكثر وحدة وأشد وحشة ، ولجأت من حب نفسها إلى حب زوجها فوجدت فيه ذلك المهذب الذى لا ينسى واجبه والذى يفهمها حق الفهم ويعطف عليها أبلغ العطف

ولكنه بعد مدة لم يعد يستطيع التفرغ لها فقد كان محامياً واشتغل أخيراً بالسياسة وسعى لترشيح نفسه للعضوية فى مجلس النواب ، وكان لذلك كثيراً ما يتخلف عن منزله أسبوعاً أو أسبوعين. وكان الزوجان فى ذلك الوقت يقيمان فى مغنى صيفى مجاور للبحر ؛ وقد أنست الزوجة بالسكنى فى هذا المكان طلباً للوحدة فيه وفراراً مما تشعر به فى المدينة من الإغراء ، وكان الهواء الخالص فى ذلك المصيف يهدئ من أعصابها ، ولكن مشغول البال بخاطر واحد لا يمكن أن يستريح سواء أقام فى جوار البحر أو فى ذروة الجبل

وكان لا يزورها فى هذا المغنى إنسان ولا تزور إنساناً ، ولولا زوجها الذى يأتى بين فترات انقطاعه لكانت من هذا المسكن فى وحدة كاملة

واعتادت أن تقضى أوقاتها فى هذه الوحدة جالسة فى حديقة المنزل وفى يدها كتاب تمر بنظرها فوق سطوره ولا تقرأ شيئاً منه أو ماشية فى الأدغال المجاورة تقطع الوقت الذى لا تشعر بمروره أو جالسة شاردة الذهن فى خواطرها وأمانيها. وكانت ترى بين حين وحين سفينة سوداء فيها صياد شاب تتمنى أن يكون الابن الذى ترزقه مخلوقاً على مثاله . وكانت تطرب إلى الصوت الذى يحدثه مجدافه فى الماء ، لكنها إلى جانب هذا الطرب كانت تشعر بشىء من الخوف وتسرع بالعودة إلى منزلها كأنما رؤية هذا الصياد الفرد تضيع عليها سرور الوحدة

وكانت كثيراً ما تفكر فى معيشته فتقول : إن صياداً وزوجته لا يكاد رزقهما المحدود يكفيهما ؛ ولكن إذا كان بينهما ابن صغير فقطعة من الخبز عندهما ألذ من مأدبة ، والكوخ الضيق أرحب بهما من ملكوت السماء ... ثم تذكر حظها وتتنهد. وكانت فى كل ليل يتلو رؤية الصياد تصاب بالأرق وتشتد عليها وطأة الهم حتى تكاد تلقى بكل أثاث المنزل من النافذة فى البحر لتكون حياتها بسيطة كحياة الصيادين . وكانت تشعر فى هذا الحين كأن إنساناً ينتظرها أو أنها على موعد فهى لذلك تترقب وهى لا تعرف مدى ترقبها ، ولا من هو الطيف الذى تنعكس أحلامها عليه

وكان شعورها جلياً صريحاً فهى تدرك كنهه وإن كانت تجهل سببه . وكانت تدرك أن ذلك الإنسان الذى يصوره لها الشعور مرتبط بها من عهد بعيد وأنها قضت كل هذا العمر فى انتظاره

وكانت فى ساعات وحدتها تخاطبه بأعذب الجمل

وأرقها ، ويخال أنها تسمع من فمه السحر الحلال . وأى ضرر فى التمادى فى حبه ؟ أليس شخصاً خفياً يحبها سراً فما يشعر بحبه إنسان ؟

وسواء قضت ليلها ناعسة الطرف ، أو مؤرقة ، فقد كانت تقوم فى الصباح مبكرة ، فتسقى أزاهير الحديقة ، وتتمهد حديث النبت منها كأنه مولود جديد. وتهش إلى الفراش الطائر . ثم تجلس فى الظلال بين الألوان الزاهية ، والروائح العطرة ...

وفى يوم من هذه الأيام ، سمعت طلقة عيار نارى . ثم وقع تحت قدمها عصفور مصاب بهذه الطلقة . ففزعت ووقفت فى مكانها ، وقد امتقع لونها ... وبعد لحظة جرى نحوها كلب من كلاب الصيد فاختطف العصفور وظهر على الأثر ذلك الصياد صاحب السفينة السوداء . فلما رآها رفع قبعته تحيياً ، وهمّ بأن ينطق بكلمات الاعتذار ... ولكن ألفاظه اختنقت ! ... فنظرت إليه نظرة طويلة دون أن تتحرك . ومشى نحوها الشاب وقال : « إننى آسف يا سيدتى ! لأنى ما كنت أحسب هذا الفنى معموراً . وقد كنت أصطاد فى الأدغال المجاورة فأصابت طلقتى طائراً هنا ، ولولا اعتقادى أن المكان خال لما دخلته . ولو كنت أستطيع عقاب نفسى على إزعاجك لعاقبتها . . . »

فلم تجبه « لينا » ! ولكنها أشارت إلى باب الحديقة ... فأحنى الرجل رأسه ومشى نحو الباب ! فلما وصل إليه التفت مرة أخرى وأحنى رأسه ...

وكانت فى هذه الأثناء قد عادت إلى الجلوس ، وتظاهرت بأنها تقرأ ، ولكن نظرها لم يرتفع عن الصياد ، وقد أعجبها صوته الرخيم الذى لم تسمع مثله قبل الآن ، والذى دلت عذوبته على انسجامه مع حسن منظره .

وكانت توازن بين هذ المنظر وبين الرجل الذى تتوهمه وتشعر بأنها مرتبطة به من سالف السنين فلا تجد فى الموازنة إلا انطباقاً ؛ فخرجت من الباب الذى خرج منه باحثة عنه وقضت فى البحث طول النهار فلم تجده وكانت تسائل نفسها : هل يعود ؟ وتجيب على هذا السؤال بأنه لا يمكن أن يعود بعد طردها إياه عندما طلب إليها العفو . وكانت تخجل كلما فكرت فى لقائه مرة أخرى لشعورها بأنها ستلقاه ، وستعتذر إليه لأنه ليس غريباً عنها ولأن لقاءه كان هو الموعد المنتظر .

وفيما هى تفكر على هذا النحو إذ سمعت صوت مجذافيه فى الماء وهو يمر بسفينته أمام الفنى فأطلت من النافذة ورأته يقف لحظة لينظر إلى الحديقة ، وأحست بأن ألسنة تصيح فى قلبها بصوت مفرح : « هذا هو ! هذا هو ! »

ووقع نظره عليها فحدق فيها ، وكأنه هو الآخر كان يحلم بها مثل حلمها به . وكان يشعر بضمة مكانته وسمو مكانتها فلم يجرؤ على مطالبتها بأن تحبه ولكنه تشجع فطلب إليها أن تصفح عنه .

وجرت بينهما جمل قصيرة يسمع الناس مثلها كل يوم ولكن «لينا» تبينت فى لهجة هذه الكلمات حباً خالصاً وهوى مشبوباً ، ونسيت فى هذه اللحظة كل الماضى بل نسيت الحاضر أيضاً .

وسكت كلاهما ، ولكن نظراتهما كانت أبلغ

فى الخطاب من كل بيان . وقرأت فى عينيه تضرعه فى الاعتذار فقالت : « لقد عفوت عنك »

ثم ذهبت بعد ذلك منهوكة القوى فألقت نفسها على السرير .

وبعد تلك الليلة كانت السفينة السوداء تأتى كل يوم إلى المنزل فتنزل لينا لاستقبال الصياد فى الحديقة وتترك يدها البيضاء بين كفيه وثغره يقبلها كيف يشاء . ولم تعده بشىء آخر ولكنها سمحت له بأن يؤمل أنه قد يجوز فى المستقبل أن ...

وفى أحد الأيام وصل الزوج بعد غيبة طويلة . وكان مهتاجاً مشغول القلب والذهن لأن الوزراء سيزورونه فى المساء فى مغناه وسيكون للوليمة التى سيقيمها لهم شأن عظيم يدنو به من مجلس النواب

وجرى الاستعداد للحفلة على ساق وقدم . وأضيئت المصابيح على شاطئ البحر وعلى جوانب الحديقة . وجاء الوزراء واشتركت لينا فى الجزء الأول من الحفلة ... فلما دب دبيب الخمر فى بدنها وأبدان الزوار غادرت المغنى إلى الشاطئ وركبت فى السفينة السوداء مع الصياد للتنزه ساعة أو بعض ساعة تاركة زوجها والزوار ...

ولما عادت إلى المنزل كانت أضواء الحفلة قد خمدت وأوشك الصبح أن يبزغ . وكان الزوج نائماً يحلم بأنه صار عضواً فى البرلمان

فنامت لينا وهى تحلم بالسفينة السوداء وبمولود جميل ستضمه بعد تسعة أشهر

عبد اللطيف النشار

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الطائب

أبي العلاء المعرى

طرفة من روائع الأدب العربي فى طريقته ، وفى أسلوبه ، وفى معانيه . وهو الذى قال فيه ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة فى القاهرة .

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتى

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »

ويباع فى جميع المكاتب الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثمن ١٢ قرشاً